﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران: 128]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تحقيق عدم تأثير المنصورين بعد تحقيق عدم تأثير النَّاصرين

لَمَّا ذكر الله سبحانه وتعالى أنَّ مظاهر النَّصر القَطْعُ والكبْت، وكان من مظانِّ أن يكونَ فيه لرسول الله ﷺ ولسائر مُباشري القتالِ مَدْخَلٌ فيه على وجه الاستقلال، قال مُبَيِّنًا أنَّ الأمر كلَّه لله، فيتولَّى هو عذابهم، أو التَّوبة عليهم: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾، لتحقيق أن لا تأثير للمنصورين، وهم المؤمنون، إثرَ بيانِ أن لا تأثيرَ للنَّاصرين، وهم المدد الملائكيُّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾: يقبل توبتهم، ويرجع بهم من المعصية إلى الطَّاعة، وأصل التَّوبة يدلُّ على الرُّجُوعِ، يُقَالُ: تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، أَيْ: رَجَعَ عَنْهُ، يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَابًا، فَهُوَ تَائِبٌ، والتَّوبة من الله على عباده: الرُّجوع بهم من المعصية إلى الطَّاعة، والتَّوبة من العبد: ترك الذَّنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، والتَّوبة من الله على عبده قبولها منه، والتَّائب: يقال لباذل التَّوبة ولقابلها، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده، والمعنى هنا: يرجع بهم من المعصية إلى الطَّاعة، فيسلموا[2].

2) ﴿أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾: العذاب: هو الإيجاع الشَّديد، وأصله من المنع، وسمِّيت العقوبة والإيلام: عذابًا باعتبار منعها من معاودة ما عوقب عليه، وقيل: أصل العذاب: الضَّرب، ثمّ استعير ذلك في كلِّ شدَّةٍ، ومنه النَّكال والعقوبة[3].

(1) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/82، والبِقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرَر: 5/60.
(2) الرَّاغِبُ، المُفْرداتُ، وابن فارس، مقاييس اللغة: (توب).
(3) الرَّاغِبُ، المفردات: (عذب)، وحسن المصطفوي، التَّحقيق في كلمات القرآن: 8/68.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ليس لك من التَّصرُّف - أيُّها الرَّسول ﷺ - في أمر عبادي شيء، بل الأمر لله، فاصبر إلى أن يقضي الله بينكم، أو يوفِّقهم للتَّوبة، فيسلموا، أو يستمرُّوا على كفرهم، فيعذِّبهم، فإنَّهم ظالمون مستحقُّون العذاب[1].

ليس للمخلوقين من التَّصرُّف في أمر الله في شيء، فالخلق خلقه والأمر أمره

❁ الإِيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاعتراض بين المعطوفات:

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ جملة معترضة وقعت وسطًا بين المعطوف عليه المتعلَّق بالعاجل، وهو القطع والكبت، والمعطوف المتعلَّق بالآجل، وهو أمر توبة الله عليهم أو تعذيبهم، ومن أغراض هذا الاعتراض: كشف الأمر في حقيقة ما حصل من النَّصر يوم بدر: بأنَّه لا تأثير للمنصورين في ذلك، وهم المؤمنون بعد بيان أن لا تأثير للمدد، وهم الملائكة في النَّصر بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ﴾.

بيان أنَّ النَّصر حاصل بمحض فضل من الله، فلا تأثير لغيره فيه عاجلًا أو آجلًا

فَالنَّصْرُ حَصَلَ بِمَحْضِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ويؤيِّد ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: 17]، فخُصَّ الاعتراضُ بموقعه؛ لأنَّ ما قبله من القطع والكبْتِ من مظانِّ أن يكونَ فيه لرسول الله ﷺ ولسائر مُباشري القتالِ مدخَلٌ في الجملة[2].

بديع الالتفات بتوجيه الخطاب لرسول الله ﷺ وتخصيصه به:

إنَّما خوطب الرَّسول ﷺ بالنَّفي التفاتًا إليه على سبيل التَّكريم

بيان أنَّ الشَّأن إذا لم يكن للنَّبيِّ ﷺ فإنَّ غيره من باب أولى

(1) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 91، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 66.

(2) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/82، والآلوسيُّ، روحُ المعاني: 2/264، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/79.

له، فقد كُفِيَ أَمْرهُم بالعزيز الحكيم، هذا من وجه، كما أنَّ في الالتفات تبيانًا له وللمؤمنين بأنَّ ذلك الشَّأن إذا لم يكن للنَّبيِّ ﷺ فإنَّ غيره من باب أولى ألَّا يكون له فيه افتراض أو اعتراض[1]، واللَّام في ﴿لَكَ﴾ لام الملك، أي: لا يملك ذلك أنت ولا غيرك.

دلالة اللَّام في لفظة ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ المنفيّ:

بيان أنَّ جميع الأمور بيد الله تعالى وحده

فلفظ ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ في الآية معناه: الشَّأن، و(أل) فيه للعهد، أي: من الشَّأن الَّذي عرفتموه، وهو النَّصر، وقد يحمل ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ في الآية بأنَّه الشَّأن بشكل عام، ويدخل فيه النَّصر دخولًا أوَّليًّا، ويندرج فيه ما ذُكِرَ في الآية من القطع أو الكبت أو التَّوبة أو التَّعذيب، فكلُّ ذلك ليس للنَّبي ﷺ ولا لغيره فيه شيء، بل إنَّ الشَّأن في ذلك وفي غيره لله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154]، (أل) في ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ لاستغراق أجناسه، فإنَّ ذلك موكول إلى الله وحده[2].

سِرُّ إدراج ذكر التَّوبة والتَّعذيب في معرض ذكر عِلَلَ النَّصر وغاياته:

بيان أنَّ تحقُّق التَّوبة فرع معرفتهم بالدِّين بعد ظهوره وانتصاره، وأنَّ التَّعذيب فرع جحودهم بعد ذلك

نظمُ التّوبةِ والتَّعذيبِ المذكورَيْن في سلك العلَّة الغائبة للنَّصر المترتِّبةِ عليه في الوجود من حيث إنَّ قبولَ توبتِهم فرْعُ تحقُّقِها النَّاشئ من علمهم بأحقيَّة الإسلام بسبب غَلَبَةِ أهلِه المترتِّبةِ على النَّصر، وأنَّ تعذيبَهم بالعذاب المذكورِ مترتِّبٌ على إصرارهم على الكفر بعد تبيُّنِ الحقِّ على الوجه المذكور، كما ينبئ عن ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42][3].

دلالة التَّنكير في لفظة شيء:

ولا يخفى أنَّ تنكير ﴿شَيْءٌ﴾، ونظمها في سياق النَّفي يفيد

(1) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/82، والآلوسيُّ، روحُ المعاني: 2/264.
(2) الخنين، النظم القرآني، ص: 117.
(3) الآلوسيُّ، روحُ المعاني: 2/266.

العموم؛ ويدخل في ذلك صغائر الأمور وكبائرها، دقيقها وجليلها، فإنَّ من كمال العقيدة وتمام الأدب مع الله ﷻ إسناد الأمور إلى الله تعالى، والرِّضا بما قضى فيها سواء أجاء على ما يتمنَّى العبد أم على خلاف أمنيته، وذلك كلُّه بعد فعل الأسباب المطلوبة في كلِّ أمر على حسبه[1].

إفادة العموم لجميع الأمور دقيقها وجليلها

السِّرُّ في تعدُّد التَّأكيدات في الحكم عليهم بالظُّلم:

لمَّا ذكر تعذيبهم؛ ناسب أن يختم الآية بعلَّة ذلك التَّعذيب، فقال: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، فأكَّد استحقاقهم للعذاب وظُلْمَهُمْ بعدَّة مؤكِّدات، منها: الجملة الاسميَّة، وهذا يفيد أنَّ ظلمهم ثابت مستقرٌّ مرئيٌّ مشاهد لا مجال لتأويله أو تحمُّله، وإدخال (إنَّ) المُثَقَّلَة لتأكيد الظُّلم الذي تضمَّنته الجملة، وإيقاع التَّوكيد على ضميرهم، وتخصيصهم به وإسناده إليهم، وفي ذلك زيادة تمحُّضهم في الظُّلم وانتصابهم له، مع الإخبار عن ذلك الظُّلم بصيغة اسم الفاعل، وهو من أقوى صيغ التَّعبير؛ تنبيهًا إلى أنَّ ظلمهم وتعدِّيهم قد بلغ مبلغًا لا يمكن السُّكوت عنه، فالعذاب إذا وقع عليهم؛ كان جزاء وفاقًا، فالله سبحانه وتعالى لا يُعذِّب إلَّا بذنب؛ لقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، والظَّالم مُستحِقٌّ لأنْ يُنكِّل الله به؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يُحِبُّ الظُّلم[2].

تعليل تعذيبهم بجمع دلائل الظُّلم الموجبة لذلك

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأمر والشَّأن:

جاء (الأمر) بمعنى: الوعد، ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النَّحل: 1]، وجاء الأمر في القرآن بمعنى: الدِّين، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة: 48]، يعني: دين الله الإسلام، ويجيء أيضًا بمعنى: الشَّأن والفعل، ومنه قوله تعالى:

الأمر أعمُّ من الشَّأن، والشَّأن ما عَظُمَ من الأمور

(1) الخنين، النظم القرآني، ص: 118.

(2) ابن عثيمين، تفسير ابن عثيمين (سورة آل عمران): 2/118، والخنين، النظم القرآني، ص: 119.

﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ [هود: 97]، أي: وما فعل فرعون وشأنه برشيد، ويجيء بمعنى: الحساب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [إبراهيم: 22]، ولا يقتصر لفظ (الأمر) في القرآن على المعاني السَّابقة، بل قد يأتي على معانٍ أُخر، يحدِّدها السِّياق والموضوع، أمَّا الشَّأن؛ فهو الأمر الَّذي يتَّفق، ويصلح، فلا يقال إلَّا فيما يعظم من الأحوال والأمور، فهو أمر مهمٌّ، له آثارُه البعيدة، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن: 29][1].

(1) الرَّاغِبُ، المُفْرداتُ، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شأن)، والعسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 291.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»